أحاديث الإيمان

أحاديث الإيمان

(26)

**حديث ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أمَّا بعد:**

عَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه أن النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: ((ثلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّار)) رواه البخاري ومسلم

إن الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو جماع السعادة وأصلها الذي عليه تُبنى وأساسها الذي عليه ترتكز ، وأهل الإيمان هم أهل السعادة، ومن فارقه الإيمانُ فارقته السعادة وكان من أهل الشقاء في الدنيا والآخرة، ولهذا فإن من كان من أهل الإيمان تحقيقًا له وتتميماً وقياماً بمقتضياته وما يستوجبه نال من السعادة بحسب ما عنده من الإيمان ، وإذا ضعُف الإيمان ضعف حظه من السعادة ، وإذا ذهب الإيمان ذهبت السعادة وفارقت الإنسان ، فبالإيمان يسعد ، وبالإيمان يطمئن ، وبالإيمان تقر العين ، وبالإيمان ينشرح الصدر ، { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ } [الرعد: 28-29] ؛ فالإيمان هو الطمأنينة الحقيقية ، هو الراحة واللذة وقرة العين ، فالسعادة مرتبطة بالإيمان ، والذي ربطها بالإيمان هو رب العالمين وخالق الخلق أجمعين سبحانه ، فمن كان من أهل الإيمان سعد في الدنيا والآخرة ، ومن فارقه الإيمان فارق السعادة في الدنيا والآخرة ، ومن ضعف إيمانه ضعف نصيبه وحظه من السعادة بحسب ما ضعف من إيمانه، قال تعالى { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} أي أنه سبحانه وتعالى كتب لمتَّبِع الهدى والإيمان ووحي الرحمن سبحانه وتعالى الهداية والسعادة وأعاذه من الضلال والشقاء .

وهذا الحديث حديث عظيم في بيان الإيمان، وصفات أهله، وبما تُذاق حلاوته، فإن الإيمان له حلاوة، ومذاق جميل، وطعم حلو لا يجده كل أحد، وإنما ثمت خصال عظيمة مِن خصال الإيمان، وصفات عظيمة من صفات المؤمنين؛ إذا تحقق المرء بالاتصاف بها؛ ذاق حلاوة الإيمان، ووجد بها طعمه، كما أخبر بذلك النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قوله "ثلاث من كنّ فيه"؛ أي ثلاث خصال عظيمة وصفات جليلة هي من صفات الإيمان وخصاله العظيمة "مَن كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان"، أي: إنما توجد وتنال بتحقيق هذه الصفات، فمَن اتصفَ بها؛ وجد حلاوة الإيمان ووجد طعمه. لأن وجود الحلاوة بالشيء يتبع المَحبَّة له، فمن أحبَّ شيئًا أو اشتهاه، إذا حصل له مراده، فإنه يجد الحلاوة واللَّذة والسرور بذلك. واللَّذة أمرٌ يحصل عُقَيْب إدراك الملائم الذي هو المَحبوب أو المشتهى.

وذكَر - عليه الصلاة والسلام - أمورًا ثلاثة: أصل، وفرع، ودفْع مضادٍّ ، وهذه الثلاثة هي التي يجد بها المرء حلاوة الإيمان.

قال ابن تيمية رحمه الله "فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها . " فتكميلها " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم . " وتفريعها " أن يحب المرء لا يحبه إلا لله . " ودفع ضدها " أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار".

أما الأصل: فقوله " أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا" بأن يحب الله - عز وجل - محبة مقدَّمة على كل شيء، ثم يحب رسوله - عليه الصلاة والسلام - محبة هي تبع لمحبة الله؛ فإن محبة الرسول - عليه الصلاة والسلام - هي من محبة الله، وطاعة الرسول - عليه الصلاة والسلام - من طاعة الله - جل وعلا - .

قال تعالى {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

وأصل الأعمال الدينية والمحرك لها هو حب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم ، فكلما قويت هذه المحبة قويت لوازمُها ومقتضياتها وإذا ضعفت ضعف ذلك، كما أن أصل الأقوال الدينية: تصديقُ اللهِ ورسوله فبحسب ما يقوم في القلب من حسن التصديق بالله وبرسوله عليه الصلاة والسلام يكونُ السداد في الأقوال.

وأما الفرع: فقوله "وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ" بأن يحب المرء لأجل الله، فإذا عُمِر القلب بمحبة الله الصادقة ومحبة رسوله - عليه الصلاة والسلام - ؛ فإنه يتفرع عن ذلك ولابد: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وكذلك يبغِض المرء لا يبغِضه إلا لله، وهذا استكمال للإيمان؛ ولهذا قال - عليه الصلاة والسلام - في حديث آخر: "مَن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ».

وأما دفع المضاد فقوله "وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّار" فهذا بُغضُ ما يضاد ذلك، ودفْعُه، وهو دليل على رسوخ الإيمان في القلب، وتمكّنه من النفس؛ لعظَم محبة الله ومحبة الرسول - عليه الصلاة والسلام - في قلبه؛ فأصبح في قلبه كراهية شديدة للكفر ولكل ما يضاد الإيمان وينافيه، ويكره أن يعود إلى شيء من ذلك كما يكره أن يُقذف في النار، ومن المعلوم أن كراهية المرء لأن يُقذف في النار هي أشد ما يكون كراهة، فهذا فيه قوة كراهة المؤمنِ صادقِ الإيمان لكل ما يضاد الإيمان وينافيه.

فتكون محبته دائرةً مع محبة الله، وكلما قويت فيه محبة الله قويت فروعها المتفرعة عنها، فيحب المؤمن لا يحبه إلا لله، ويُبغض مَن يبغض لا يبغضه إلا لله، فيحِب الله ويحب من يحبه من الأعمال والأشخاص، وفي الدعاء المأثور عن نبينا - عليه الصلاة والسلام - قال: "اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يقربني إلى حبك" فجمَع بين هذه الأمور.

ولما كانت محبة الله سبحانه لها لوازم -وهي محبة ما يحبه الله من الأشخاص والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك- سأل النبي صلى الله عليه وسلم الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين:

أحدهما: محبة من يحبه الله؛ فإن من أحب الله أحب أحباءه فيه ووالاهم، وأبغض أعداءه وعاداهم ، وأعظم من تجب محبتهم في الله أنبياؤه ورسله، وأعظمهم نبيه محمد صلى الله عليه سلم الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصحة محبته ، كما قال تعالى: {قُلْ إنْ كنتم تُحِبُّون الله فاتَّبِعوني يُحبِبْكُم الله ويغفرْ لكم ذُنُوبَكم}[آل عمران:31].

والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال، وبها يبلغ إلى حبه؛ وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه، فإذا امتثل العبد لأوامر مولاه وفعَل ما يحبه أحبه الله تعالى ورقاه إلى درجة محبته، كما في الحديث الإلهي الذي خرجه البخاري: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)).

وقد تنوعت الأسباب الجالبة لمحبة الله والموجبة لها وهي في الجملة ترجع لعشرة أسباب ذكرها ابن القيم رحمه الله:

" أحدها قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه

الثاني التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة

الثالث دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر

الرابع إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى

الخامس مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .

السادس مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته

السابع وهو من أعجبها انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى .

الثامن الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز و جل .

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة".

ولهذا يحتاج المسلم دائمًا أن يعمل على تقوية محبة الله في قلبه ومحبَّة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومحبَّة شرعه، وأن يفعل الأسبابَ الَّتي تمكِّن هذه المحبَّة في القلب، وأن يجتهد في أن يُبعد عن قلبه أمراضَه وأسقامَه التي تضعف هذه المحبة وتوهيها، ويكثر من دعاء الله أن يرزقه حبه وحب من يحبه وحب العمل المقرب إلى حبه، ويكرِّرها في حياته، ويبذل الأسبابَ الَّتي تُقوِّي وتوسِّع مساحةَ المحبَّة لله ولرسوله ولدينه في قلبه.

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.